ريح الشمال . . .

[مهداة إلى الوزير الشاعر دسوقي بك أباظة]

للأستاذ أحمد مخيمر

تنسمتُ أرواح الشمال هنيهةً فهاج بيَ الشوقَ الدّفين هبوبها
بسمعي كمعسول الحديث حفيفها رخيٌّ ، وفي قلبي شجيٌّ دبيبها
فتحتُ لها صدري فأمّتْ خميلة من الحب فيه صادحٌ عَنْدليبها
نأتْ راحةُ السّاقي فصوّح دوحها
وما غاض في ظل الغصون قليبها[1]
وكانت كروْقِ الشمس في ميعة الضحى
يرفُّ رفيفاً رهرها وقضيبها
ويبرقُ من فرط النّضارة عشبها
ويهتزّ من فرط الحياة رطيبها
فيا لحظةً ريحَ الشمال ، فطالما تمنّتْكِ نفسٌ شرّدتها خطوبها
لعلّ شذًى منها لديكِ أشمّه وهاتفةً مما تبثُّ أجيبها
وبيني فؤادينا صحارى رحيبة
تُضِلُّ الخطى وديانها ولهوبها[2]
يموم عليها الآل حتى كأنه ظنون بأرض النفس ناء قريبها
بعثت عليها من أمانيَّ طائراً فآب مهيضاً ألهمته دروبها
وإن كثيراً أن أظل ببلدة غريباً ولا يدنو لنفسي حبيبها
إذا الليل وارى شعرت بلوعة يُشَبُّ بأحناء الضلوع لهيبها
وجاء إليّ الحزن من كل جانب وهمهمت الأشواق جمًّا سروبها
وبانَ لعيني الظلام كأنه حفيرة موتى فاجأتها شعوبها[3]
ورفّتْ بقلبي ذكريات من الهوى
تفوح فتزهار الرياض طيوبها

(١) القليب : البئر .
(٢) اللهوب : الهاوي بين الجبال .
(٣) شعوبها : المنية

أرود بها لذات عيد قد انقضى وأيام حب غاب عنها رقيبها
فما هو إلا أن طبقتُ ظلالها فسرحتُ عيني فاستهلّت غروبها
وكنت كذي غلٍّ[1] رأى الماء قلبه
ظنوناً ، وهل يُروّى بهن طلوبها !

* * *

لكِ الله يا ريح الشمال ، وإنها لساعة بثٍّ ثم يدنو مغيبها
تهيجين أشواقي ! وقد كنتِ قبلها
مزاميرَ غيبٍ ، في الضلوع طروبها
وكنتُ إذا أعولتِ في ظلمة الدجى
تَوزّعني أسرارها وغيوبها
أظلُّ كأنّي قد فتحتِ لناظري سبيلاً إلى الآباد رحتُ أجوبها
فبالله يا ريحَ الشمال أشيّعتْ إلينا تحياتٍ لديك نصيبها !
ألا مستِ خديها ، أجاذتِ شعرها
ضفائرَ صفراً ينفح العرف طيبها
كشل خيوط الشمس ، والفرق وسطه
شعاعةُ قمراء بهيٌّ سروبها
عجيب كصحراء الخيال مموّهٌ بذوب نضارٍ قاعها وكثيبها
جميل كألوان على السحب تَرّةٍ
وقد حان من شمس النهار غروبها

* * *

شفت كبدي ريح الشمال وقد سرت
فيا ليت شعري هل شفتها جنوبها
نأت دارنا عنها ، وشطّتْ بدارها
نوًى قذفتْ قد أبعد النأو[2] نيبها
وإنّي امرؤٌ أقصى مناه وهمه بقيعان أدفو أوبةٌ فيئوبها !

(ادفو) أحمد مخيمر

(١) الغل : الغليل
(٢) النأو : الهمة .